

# المرأة العربية المغيبة أصبحت رمزا للتحرر في المظاهرات

## النساء يضمنن أصواتهن إلى أصوات الرجال: نريد وطننا



قضايا النساء جزء من الثورة، وأي ثورة لا تعالج قضايا النساء ثورة ناقصة

وكشفت الثورات التي اجتاحت عددا من الدول عن الدور الذي باتت المرأة العربية المغيبة تلعبه في صياغة المطالب الشعبية، وحتى في التواجد في ساحات التظاهرات، بل وصارت النساء الجزء الأبرز في الكثير من هذه التحركات.

### ثورات حقيقية

أثبتت عدة متواجرات في ساحات الاعتصام أنهن فاعلات وقادرات على تقديم الإضافة الفعالة، فكانت الأم والجدة والمناضلة والثورية والصحافية والطالبة والموظفة والمعلمة والناشطة والطبيبة والفنانة، حاضرات دائما للمساعدة وشحن عزائم رفاقهن، كل منهن حسب وظيفتها أو قدرتها على المشاركة في هذا النضال الجماعي.

أسعفت الطبيبة، أو الطالبة في كلية الطب، الجرحى، ووفرت الأم الطعام، وشارك الجميع في تنظيف الساحات، وعملت عدة فئات تشكيلات على إحداث إبداع بصري ملا شوارع بلدانهم

و صفاحتهم على موقع فيسبوك، للانفاضة التي أطاحت ببعض القادة العرب، وجعل العالم من حولهن ينظر إلى لوحات توثق للأحداث الجلل الحاصلة في بلدانهم، وهذه المبادرات التي غالبا ما كانت فردية طغت عليها للمسات الأنثوية رغم المشاركة الذكورية.

وبدا حضور المرأة طاغيا في الصور ومقاطع الفيديو التي انتشرت في وسائل التواصل الاجتماعي عن هذه المظاهرات وأنشطتها المختلفة، وجاء ذلك نتيجة حرص الإعلاميات والمصورات والناشطات على نقل صور الاحتجاج وكان لربيات البيوت غير القادرات على الخروج إلى الشوارع دور أيضا في إرسال المال أو الطعام أو بعض الإمدادات الأخرى، إلى الساحات.

واكسد التوجاني أن "ثورات تُرفع فيها النساء على أعناق الرجال وتعتبر فيها المرأة عن وجودها وتجنلي للعبان فتحفل الفضاء العام وتفتك نصيبها من المشهد هي ثورات حقيقية لا مغشوشة وتدعو إلى النفاؤل والأمل لأنها لا فقط انتفاضة ضد القمع والقهر والبطالة عنها الإنسان.. وأن يخاف الأهل على بناتهم من تأثير على سمعتهم.. قد يستخدم نساء ضمن استراتيجيات ممنهجة للإساءة إلى المرأة ولكنها قد تكون أيضا

عقوبة ضمن التصور الاجتماعي الدوني تجاه المرأة المفكرة والمرأة الثائرة".

الرجل بمشاركة المرأة اعتراف بمكانتها الحقيقية داخل المجتمع.

وعلى الرغم من أن أغلب الشابات يحضرن دون علم أهاليهن الذين قد يمنونهن حرصا على سلامتهن، سجل الحضور النسوي نسبيا كبيرة. وقالت فنانة الغرافيتي السودانية، أصيل دياب، المقيمة بقطر، في حديث سابق لـ "العرب" "كنت أتابع الحراك السياسي في بلدي منذ أسبوعه الأول، أي منذ ديسمبر 2018، من خلال التلفزيون سابقا والواقع الاجتماعي، وبعد شهر تمكنت من الوصول إلى السودان بعد مجهود جبار لإقناع عائلتي بضرورة ذلك".

وأشارت دياب إلى أنها "وجدت في طريقها أناسا رفضوا فكرة وقوع المرأة بالبنطلون وهي تخاطب جموع الناس"، مضيفة أنهم "اعتبروها فتاة متحررة مع القضية التي تحدثت عنها أكبر من الوقوف عند المرأة وماذا تعمل أو تلبس.. لماذا تنرك كل القضايا المهمة للغاية في بلدنا ونركز في هذا الوقت الحساس على المرأة".

وتبرر لمياء عبدالمحسن الجرايم، كاتبة رأي سعودية وطبيبة استشارية في طب الأسرة والمجتمع، منع الأمامي لبناتهن من الالتحاق بحشود المظاهرات وأسباب هذه النظرة الدونية لمشاركة الشرف لتخوير أسرتهن بحيث يكون تبعها المعارضون سواء كانوا نساء أو رجالا، ارتكزت على أن معايير الشرف عالية في المجتمعات العربية، وبذلك فالأسهل استهداف المرأة من ناحية الشرف لتخوير أسرتهن بحيث يكون الضغط عليها لمنعها من قبل أسرتهن.

وأضافت الجرايم لـ "العرب" أن سبب ذلك هو نوع من التمنر الاجتماعي والتهم الدوني للمرأة خوفا من تفوقها أو ظهورها، ويستخدم ذلك لإضعاف عزيمتها ولتخوير النساء أو تصغير حركاتهن وأفكارهن.

وتابعت "احتقار المرأة وامتثالها بحدان التأثير بها في ميادين الاحتجاج لأن حامل الرسالة أهم من الرسالة أو ارتباط المفاهيم بانحراف ناقلها، لذا من الطبيعي أن يعزف عنها الإنسان.. وأن يخاف الأهل على بناتهم من تأثير على سمعتهم.. قد يستخدم نساء ضمن استراتيجيات ممنهجة للإساءة إلى المرأة ولكنها قد تكون أيضا عقوبة ضمن التصور الاجتماعي الدوني تجاه المرأة المفكرة والمرأة الثائرة".

وتتابع "فإذا بنا أمام مشهد مؤث فيه تقف لبسة الحجاب إلى جانب ذات الشعر الطليق، ولايسة الموضة حدو تلك التي تلتزم بتقاليد بلدها التراثية، يقفن جميعا ليعبرن عن هوية أكبر من اللباس وأكبر من الإختلاف الظاهر إنها هويتهم الجامعة بينهن نساء عربيات محكومات بتقاليد أبوية جعلتهن يكافحن يوميا لافتتاك الاعتراف، فإذا بهذه الثورات المؤنثة تطلق لرغبتهن في الحرية العيان وتجمع بينهن في مشهد جديد: مشهد لا وصاية فيه عليهن سوى قيم يطالبن بها صباحا ومساء، يردن أن يعشن في مدن أكثر عدلا وأنظمة ديمقراطية ويردن أن يحترمن كمواطنات تليق بهن المساواة والكرامة ويردن حقوقهن لا أكثر ولا أقل، حقوقهن في العمل والحياة والحرية والديمقراطية".

هذا المشهد الجديد كما وصفته التوجاني يقطع مع الصورة النمطية التي فصلت لسنتين بين الرجل والمرأة في بعض المجتمعات العربية المحافظة، فالنساء من كل الأجيال ومن مختلف الشرائح الاجتماعية غيرن هذه الصورة خلال هذه الثورات وفككن العزلة التي تفصلهن عن الرجال.

وجاءت بعض الشهادات من ساحات التظاهرات تؤكد أن المرأة كانت وراء خروج زوجها أو أخيها للاحتجاج والمطالبة بحقه في الحصول على وظيفة تليق بشهادته الجامعية، كما أنها لم تكف بذلك بل واقنعتهم بأن تؤثت معه مشهد الحراك الشعبي، في تجذ صارخ للصور القاتمة التي تحدف بالمرأة التي تنزل إلى الشارع. وفي اقتناع

الانتقالية التي تمر بها بلادها، وقد أدت دولة الإمارات على أهمية ضمان المشاركة الكاملة والجدادة للنساء في جميع مراحل عمليات السلام والمفاوضات. وجاء ذلك خلال البيان الذي أدلت به لاسا زكي نسيبة، المندوبة الدائمة لدولة الإمارات لدى الأمم المتحدة، أمام المناقشة السنوية المفتوحة التي عقدها مجلس الأمن، أكتوبر الماضي، حول المرأة والسلام والأمن.

**تأنيث المشهد لا يمكن إلا أن يكون علامة على ميلاد مجتمع عربي جديد قائم على تصوّر جديد للإنسان لا مزية فيه للذكر على الأنثى إلا بمدى الالتزام بخدمة الوطن**

وقالت نسيبة إن "النساء هن أول المستجيبات وعنصر أساسي في المجتمع والأسرة وقوة دافعة للتغيير"، مشددة على ضرورة أن تكون النساء طرفا أساسيا في المفاوضات الرسمية وغير الرسمية في جميع مراحل عملية السلام وعدم استبعادهن بعد حل الصراعات". وترى التوجاني أن "امرأة عربية جديدة ولدت من انفاض تلك المرتبكة الخائفة المؤودة بتقاليد تزعم حمايتها من نفسها فإذا بها تنفجر بكل قواها المكبوتة قرونا، ترفع صوتها لتعبر عن وجودها وتسمي ظاهرة للعبان لا خفية".

## البنائية تنتفض.. لكن على طريقتهما

غير الحكومية الناشطة في الدفاع عن حقوق المرأة، "لا يوجد قانون موحد للأحوال الشخصية بل قوانين مختلفة تابعة لمحاكم شرعية ومذهبية وروحية لخمس عشرة طائفة مختلفة في لبنان"، موضحة أن "هذه القوانين تميز ضد النساء خصوصا في ما يتعلق بالزواج والحضانة والوصاية على الأولاد".

والتي تعطي فيها معظم الأدبان الأولوية للاب. وينسحب ذلك على الميراث وعلى السن الأدنى للزواج المسموح به قانونيا، ما يفتح الباب أمام زواج القاصرات دون سن 18.

والشكوى من هذا الواقع كانت أحد الأسباب التي دفعت العديد من المظاهرات في بيروت وغيرها من المناطق إلى إطلاق شعار إسقاط النظام الطائفي. وقالت المحامية ربي، "قضايا النساء هي جزء من الثورة وأي ثورة لا تعالج قضايا النساء هي ثورة ناقصة".

وقوف النساء العربيات إلى جانب الرجال في انتفاضات وثورات بلدانهم يؤكد قدرتهن القيادية والنضالية وجراتهن على التمرد على تقاليد ونواميس مجتمعاتهن المغيبة لهن، فقد أثبتن أنهن يلعبن دورا هاما في صياغة المطالب الشعبية وفي التواجد بساحات المظاهرات.

شيماء رحومة  
صحافية تونسية



وأصبح مشهد النساء السودانيات المتكر، وهن في الصفوف الأولى للاحتجاجات، في معظم المدن السودانية مبهرا للكثيرين، فقد تقدم هؤلاء المسيرات دون خوف، وهن يرددن شعارات "تسقط بس"، حتى أن البعض يعتبر أن المشاركة الفاعلة للمرأة السودانية في تلك الثورة، تمثل نقطة تحول في تاريخ حراكها المضي عبر سنوات طويلة. كما دشنت القيادات النسائية في ميدان الاعتصام أمام مقر قيادة الجيش بالعاصمة الخرطوم مايو الماضي تحت اسم "نساء السودان للتغيير" حملة لتحقيق التواجد النسائي المرغوب في أجهزة المرحلة الانتقالية. ودافعن على حقهن في ذلك مذكرات بان السودانيات شاركن في تنظيم المظاهرات والاحتجاجات وإيواء النوار والاعتصام والدعم الاجتماعي.

**كسرن حاجز الصمت**

قالت الباحثة التونسية في تحليل الخطاب الديني، زينب التوجاني، "من السودان ومصر إلى لبنان والعراق مروراً بتونس والمغرب والجزائر ترفع أصوات الشابات جنبا إلى جنب يعبرن عن رفضهن للأنظمة القائمة وحلمهن بانظمة أكثر عدالة ومساواة". وأضافت التوجاني في حديثها لـ "العرب" "لقد كسرت هؤلاء النسوة جدران القمع المرثية واللامرئية، وحون من على جباههن تلك العلامة التي تحدثت عنها عالمة الاجتماع المغربية فاطمة المريني حين روت قصة ورثتها عن جدتها عن حريم لامرئي منقوشة على الجبين، ذلك الحريم الذي كان متمثلا في جدران القصر قديما فامسى جدرانا خفية تتكمن من النساء لتبقيهن في الظلم، بغرس جملة من الانفعالات السلبية فيهن كالخوف وعدم الثقة في النفس وأن يعتبرن أنفسهن عورة".

وتابعت "كل ذلك قد تحذاه النساء وكسرن تلك القضايا المغروسة فيهن وخرجن إلى النور في وضع النهار يعلنن أصواتهن بالشعارات ويرفعهن الرجال على الأعناق ويتباهين بانوثتهن غير مخفيات جمالهن ولا جمال أفكارهن، يغنين في الساحات ويرقصن، ويرفعن مطالبتهن بحقهن، ويجلسن على الأرض إلى جانب رفاقهن، ويرين أنفسهن جديرات بالكرامة والحقوق والمساواة والعدل الاجتماعي".

فالمرأة التي خرجت متحدية رهاب الشوارع وعدسات كاميرات الصحافيين والتلفزيونات المحلية والعالمية، لم تعد مجرد أنثى تسير في ظل رجل طلبا للأمن والحماية، بل صارت فاعلا في كل المراحل

وقفت شابة عراقية، منذ أيام، بفستان زفاف وسط ساحات الاحتجاجات المستمرة في البصرة ورفعت لافتة كتبت عليها "عروس المظاهرات، مهرها هو التغيير..". ومن ساحات مدينة بعلبك شرقي لبنان ووسط العاصمة بيروت أيضا، سمعت، الأرباء الماضي، أصوات قرع الطناجر على أصداء الأناشيد الوطنية، تجوب الشوارع، في مسيرة مطالبة بحقوقي المرأة استمرت أكثر من ساعة لإحداث ضجيج بغية إسماع صوتهن بشكل سلميّ مرددات شعار "يا سلطة أبوية حق المرأة مش تفصيل". وكتبت الفنانة اللبنانية ميريام فارس عبر حسابها في تويتر "أنا فخورة كثيرا بكل امرأة تشارك بثورة وطني لبنان.. 1915 أول مرة تُقرع الطناجر في لبنان بسبب المجاعة.. 2019 ثاني مرة تُقرع الطناجر في لبنان بسبب الفساد".

وبذلك أثبتت المرأة العربية المغيبة أن الشاعر السوري نزار قباني لم يجنح بخياله بعيدا حين قال "الحضارة أنثى والثقافة أنثى واللغة أنثى والقصيدة أنثى والشجرة أنثى والثورة أنثى"، فاليوم قاد النصف المهيم من المجتمع ثورات وانتفاضات مجتمعاته، وصار رمزا للتحرر في المظاهرات.

في الصور الملتقطة للنساء من قلب الثورات العربية ظهرن ثابطات، جريئات، قادرات على الوقوف إلى جانب الرجال للمطالبة بسقوط الأنظمة. وكانت الانطلاقة من تونس في 2011 إذ لم تكف المرأة بالخروج إلى الشارع حاملة شعار "المرأة ثورة وليست عورة"، وتصرخ بأعلى صوتها "ديجاج" طردا لنظام دكتاتوري جثم على البلاد أكثر من 23 سنة، بل ولعبت أصوات النساء دورا حاسما في فوز الرئيس الراحل الباجي قايد السبسي، حيث بلغت نسبة أصوات الناخبات 60 بالمئة من مجموع الأصوات التي حصل عليها، ومازالت التونسية تؤثت مشهد الحراك الشعبي كلما هبت انتفاضة بالبلاد.

ورببت نظيرتها المصرية بالشوارع في العام ذاته من أجل إعلاء صوت الحق والتخلص من الأنظمة الفاسدة، فكانت مشاركتها مهمة وحضورها لافتا، وصمدت أمام كل أشكال التهيب بما فيها ضغوط سبع عشرة متظاهرة لكثوفات العذرية. وأعطى دخول المرأة الجزائرية على خط الحراك الشعبي، إضافة نوعية وزخما غير مسبوق، وشكل حضورها في الانتفاضات التي أطاحت بالرئيس المخلوع عبدالعزيز بوتفليقة، دعما قويا وتحولا اجتماعيا لافتا أعاد ترتيب الكثير من المفاهيم النمطية.

وعم الاستدلال أليس شرارات الثورة السودانية على سيرها غدت الناشطة

بيروت - استقطبت النساء في شوارع بيروت، اهتمام وسائل الإعلام، وهن يرقصن، أو يهتفن، أو يساهمن في تنظيم التجمعات، لكن أبعد من المشاركة تحت شعار "الثورة" على الطبقة السياسية، لنساء لبنان مطالبهن الخاصة بحقوقي لا زلن محرومات منها.

وقالت سحر، امرأة أربعينية وهي إحدى المشاركات في المسيرات الاحتجاجية، "نحن كنساء نعرض للظلم مرتين. بالإضافة إلى كل الظلم الذي نتعرض له كشعب، توجد كمية من القوانين المجحفة بحقنا كنساء، من الأحوال الشخصية الطائفية إلى العنف الأسري وقانون الجنسية وغيرها".

وتدافع اللبنانيات منذ سنوات عن حقهن في منح الجنسية لأولادهن، إذ لا يحق للبنانية إعطاء جنسيتها لأولادها إذا تزوجت من أجنبي، ويطالبن بإقرار قانون مدني موحد للأحوال الشخصية وبقوانين تسهل حصولهن على حضانة أولادهن في حال الطلاق.